ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

بعض دروس تربوية من قصة يوسف في القرآن الكريم

محمد[1]

جاء القرآن الكريم داعيًا إلى الهداية والرشاد بأساليب شتى منها أسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان وأكثر العوامل تأثيرا فيه، و من بين هذه القصص قصة يوسف عليه السلام التي تعتبر من أحسن القصص لما تضمنته هذه القصة من العبر والحكم وما اشتملت عليه من التوحيد والفقه والسّعر وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش وجميل الفؤاد التي تصلح للدين والدنيا. فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها وأخذ العبرة منها وتصحيح العقائد والأخلاق، حتى ينصلح الفرد والمجتمع.

و استنتجت الباحث من الدروس التربوية أن الشخص إذا رأى في منامه ما يحب أن يحدث ، و إذا رأى ما يكره فلا يتحدث به ، و ليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها و ليتفل ثلاثا ، و ليتحول عن جنبه الآخر فإنها لا تضره ، ومن الأدب مع الوالدين بعدم مناداتهما بأسمائهما ، و مناداة الوالدين للأولاد بأحسن الأسماء ، و أهمية تنمية العلاقة الوثيقة بين الوالدين و أبنائهم في نفوس الأطفال ، والحرص على عدم حدوث أي أمر يؤثر على السكينة و الطمأنينة بين الأولاد بمعاملة الوالدين بالعدل والمساواة بين الأبناء .

ينبغي البعد عن أسباب الشر و كتمان ما تخشى مضرته ، فيجوز أن يحذر المسلم غيره من أشخاص على نية النصيحة حين يعتقد فيه إرادة الشر و إيقاعه ، و ذلك لا على وجه الغيبة و النميمة ، وعند نصيحة الأبناء يفضل الجمع بين النهي و التعليل و التوجيه ، و بيان أن بعض الألعاب حلال كالسباق و الرماية .

الدعوة واجبة في كل الأحوال و لو كان في السجن ، ويجب التنوع في أساليب الدعوة و اختيار المناسب لكل حال ، كما أن تفسير الرؤيا بمثابة فتوى فلا يجوز لمن لا علم له أن يفتي فيها ، و أن الشخص اذا أحس بالقدرة و الكفاءة لتولي منصب أو مهمة ما يجوز أن يقدم نفسه لتلك المنصب بدلا أن يأخذها شخص غير مستحق له

الكلمات المفتاحية: قصة يوسف في القرآن الكريم ودروس تربوية

---

[1] مدرس في الجامعة الإسلامية الحكومية شيخ عبد الرحمن صديق بنكا باليتونج

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

أ. المقدمة

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة، التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز. أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور و يهديهم إلى الصراط المستقيم.

و هو روح يبعث الحياة و يزكيها و ينميها في القلوب، و في الواقع العلمي المشهود. و الأمة بغير القرآن هامدة لا حياة لها و لا مقدار، فهي بحاجة إلى القرآن، فلا تستطيع أن تواجه قضايا عصرها إلا بالقرآن الكريم، و المسلمون يعتصمون به في روابطهم و يقيمون أحكامه في حياتهم و يجاهدون به أعدائهم و يصلحون به دنياهم و يستقبلون به آخرتهم.[2]

لقد جاء القرآن الكريم داعيا إلى الهداية و الرشاد بأساليب شتى، فتارة بالوعد و الوعيد، و تارة بالإقناع العقلي، و تارة ثالثة بوخز الضمير و الوجدان، و رابعة بتوجيه

---

[2] محمد رشيد رضا، ***تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار***، دار الكتب العلمية _ بيروت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، المجلد الثاني عشر، ص ٢١٣

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

الفطرة إلى حقيقتها و خامسة بالإعجاز بشتى ألوانه، و أحيانا كثيرة بأسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى فطرة الإنسان و أكثر العوامل تأثيرا فيه.[3] ذلك أن للقرآن أسلوبا رائعا و مزايا فريدة في تربية المرء على الإيمان بوحدانية الله و اليوم الآخر و تقويم الخلق و السلوك الفردي و الجماعي، و تحقيق خلافة الإنسان في الأرض.[4]

و القصة في القرآن لها منهج فريد، لا يشبه أي أسلوب من الأساليب المعهودة للقصة، و هي تتبع في ذلك الأغراض التي سيقت من أجلها، فالقصة في القرآن ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، و إنما هي مسبوقة لغرض ديني، و القرآن يتخذ من الجمال الفني أداة لهذا الغرض.[5] و لأنها جاءت بأسلوب رباني معجز فوجوه الإعجاز التي نجدها في القرآن الكريم نجدها في القصص، فمن تلك الوجوه التكرار الهادف، حيث نجد في كل موطن من العبر و اللطائف و الإشارات ما لا نجده في نفس القصة في موطن آخر، و من

---

[3] عبد الله هاشم ابراهيم نايل، ***القول الحقيق في تفسير سورة يوسف النبي الصديق عليه السلام***، مطبعة حسين الاسلامية – القاهرة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، ص ٩

[4] محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ص 224

[5] يترجم من

Quraish Shihab, ***Tafsir Al Mishbah : Pesan, Kesan dan Keserasian Al-Qur'an,*** Lentera Hati, Jakarta, 2007, Cet. Ke-8, h 391

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

وجه آخر، حيث يعجز الإنسان مهما أوفي من البيان عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة دون أن تظهر عليه علامات الضعف أو الركة أو التفكك أو التكلف، و من تلك الوجوه أيضا إخباره عن قصص ماضية من أخبار الأنبياء مع أقوامهم، و منها اخباره عن قصص مستقبلية غيبية و منها ما سيقع في الحاضر.[6]

و أوضح مثال على هذا الأسلوب الفني المبدع الذي يتخذه القرآن في سرد القصة ما ذكره الله سبحانه و تعالى في كتابه نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ ۖ وَاِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهٖ لَمِنَ الْغٰفِلِيْنَ (يوسف : ٣)

و المراد بأحسن القصص أنه اقتص على أبدع طريقة و أعجب أسلوب، أي أن المراد من الحسن حسن البيان و كون الألفاظ بالغة الفصاحة حد الإعجاز.

و أحسن القصص التي ذكرت في القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام. قيل: إنما كانت أحسن لأن غالب من ذكر فيها كان مآله إلى السعادة، ووجه أحسنيته لأنه قد قص على أبدع الطرائق الرائعة الرائقة، و أعجب الأساليب الفائقة اللائقة.[7]

---

[6] ابن منده ، محمد بن اسحاق بن يحي ، ***الإيمان***، مؤسسة الرسالة _ بيروت، ١٤٠٦ هـ

[7] ابن القيم الجوزي ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ***الجواب الكافي لمن سأل الدواء الشافي***، دار الكتب العلمية _ بيروت

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

نزلت قصة يوسف في سورة كاملة، من أولها إلى آخرها، فهي تحمل ذات طابع منفرد في احتوائها قصة يوسف كاملة، فالقصص القرآني – غير قصة يوسف – يرد حلقات، تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة و اتجاهها وجوها، و حتى القصص التي ورد كاملا في سورة واحدة كقصص هود و صالح و لوط و شعيب ورد مختصرا مجملا. أما قصة يوسف فوردت بتمامها و بطولها في سورة واحدة. و هو طابع متفرد في السور القرآنية جميعا. و هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة، و يؤديها أداء كاملا. ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف و تنتهي بتأويلها، بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها أو جملة حلقات في سورة و تكون بقيتها في سورة أخرى.[8]

و السورة نزلت في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعاني من الوحشة و الغربة منذ عام الحزن، و تعاني منه الجماعة المسلمة هذه الشدة. كان الله سبحانه و تعالى يقص عليه السلام نبيه الكريم قصة أخ له كريم – يوسف بن يعقوب – عليهم صلوات الله و سلامه أجمعين. و هو يعاني صنوفا من المحن و الابتلاءات: محنة كيد

---

[8] العامري ، الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن حبيب ، ***أحكام النظر إلى المحرمات و ما فيه من الخطر و الآفات و الرد على من استباح حله و ادعى العصمة فيه من الفتنة***، دار ابن حزم ــ بيروت، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

الإخوة، و محنة الجب و الخوف و الترويع فيه. و محنة الرق و هو ينتقل كالسلعة من يد إلى يد غير إرادة منه، و لا حماية و لا رعاية من أبويه و لا من أهله. و محنة كيد امرأة العزيز و النسوة، و قبلها ابتلاء الإغراء و الفتنة و الشهوة. و محنة السجن بعد رغد العيش و طرواته في قصر العزيز. ثم محنة الرخاء و السلطان المطلق في يديه، و هو يتحكم في أقوات الناس و في رقابهم. و محنة المشاعر البشرية و هو يلقى بعد ذلك اخوته الذين ألقوه في الجب و كانوا السبب الظاهر لهذه المحن و الابتلاءات كلها.[9]

و إنما سميت هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأقاصيص هو ما تضمنته هذه القصة من العبر و الحكم و ما اشتملت عليه من التوحيد و الفقه و الشّعر و تعبير الرؤيا و السياسة و المعاشرة و تدبير المعاش و جميل الفؤاد التي تصلح للدين و الدنيا.[10]

فالغاية الأولى من قصص القرآن الكريم هي تأملها و أخذ العبرة منها و تصحيح العقائد و الأخلاق، حتى ينصلح الفرد و المجتمع. قال تعالى لَقَدْ كَانَ فِيْ قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيْثًا يُّفْتَرٰى وَلٰكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَّهُدًى وَّرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ (يوسف : ١١١) . و معنى العبرة هو التأمل و الاتعاظ و

---

[9] ابن جرير الطبري ، أبي جعفر محمد ، ***تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن***، دار الكتب العلمية _ بيروت، المجلد السابع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

الاعتبار بأن نقيس أنفسنا على السابقين ممن قص الله علينا نبأهم بالحق، فنعلم أن سنة الله ماضية فينا كما خلت الدين من قبلنا.[١١]

و المراد بدروس تربوية من قصة يوسف في هذا البحث يعني الفوائد و العبر التي تستنبط منها في قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، و تتبع أخباره و تطبيقها و العمل بها في حياة الأمة و ما يفيدها في تنشئة و تهذيب سلوكها نحو الخير.

ب. البحوث

1. محتويات القصة في سورة يوسف

من التفسير الإجمالي و النظرة السريعة للآيات ، تم تقسيم قصة يوسف عليه السلام إلى أربعة محن و ما بعدها رخاء، ففي هذا القسم سيتم سرد قصة يوسف عليه السلام كاملا و أبرز أحداثها و شخصياتها.

تبدأ قصة يوسف عليه السلام بذهابه إلى أبيه يعقوب عليه السلام و حكايته عن الرؤيا التي رآها في منامه، أخبره بأنه رأى في المنام أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر ساجدين له، استمع الأب إلى رؤيا ابنه وحذره بأن يحكيها لإخوته، فلقد أدرك يعقوب عليه السلام بحدسه و بصيرته أن وراء هذه الرؤيا شأنا عظيما لابنه، لذلك نصحه بأن لا

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

يقص رؤياه على إخوته خشية أن يستشعروا ما وراءها لأخيهم الصغير، فقد كان يعقوب عليه السلام يمتلك اثنا عشر ابنا و أسماؤهم هي: روبيل و هو أكبرهم، و شمعون و لاوي و يهوذا و زيالون و يشعر ، و أمهم ليا بنت ليان و هي بنت خال يعقوب عليه السلام، و ولد له من سريتين أربعة نفر ، دان و نفتالي و حبا و آشر، ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب عليه السلام أختها راحيل، فولدت له يوسف و بنيامين .[10]

و هنا تبدأ المحنة الأولى ليوسف عليه السلام حين قالوا إخوته "نحن مجموعة قوية تدفع و تنفع، فأبونا مخطيء في تفضيل هذين الصبيين أي يوسف و بنيامين على مجموعة من الرجال النافعين"، فاقترح أحدهم بقتل يوسف و القائه في أرض بعيدة نائية، و من ثم يتوبون عن جريمتهم، لكن قال قائل منهم حرك الله أعماقه بشفقة خفية، أو أثار الله في أعماقه رعبا من القتل: ما الداعي لقتله؟ إن كنتم تريدون الخلاص منه، فلنلقه في بئر تمر عليها القوافل و ستلتقطه قافلة وترحل به بعيدا ثم سيختفي عن وجه أبيه و يتحقق غرضنا من إبعاده، فانهزمت فكرة القتل، واختيرت فكرة النفي والإبعاد.

توجه الأبناء لأبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم. دار الحوار بينهم وبين أبيهم بنعومة وعتاب خفي، وإثارة للمشاعر.. مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ..؟ لماذا لا

[10] أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المرجع السابق، ص ٢٦٠٣

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

ترسله معنا يرتع ويلعب؟، وردا على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب عليه السلام ينفي بطريقة غير مباشرة أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب، ففندوا فكرة الذئب الذي يخاف أبوه أن يأكله،فقالوا: نحن عشرة من الرجال! فهل نغفل عنه ونحن كثرة؟ نكون خاسرين غير أهل للرجولة لو وقع ذلك لن يأكله الذئب ولا داعي للخوف عليه، فوافق الأب تحت ضغط أبنائه.

خرج الأخوة ومعهم يوسف، وأخذوه للصحراء، و اختاروا بئرا لا ينقطع عنها مرور القوافل وحملوه وهموا بإلقائه في البئر، وأوحى الله إلى يوسف أنه ناج فلا يخاف، وأنه سيلقاهم بعد يومهم هذا وينبئهم بما فعلوه. عند العشاء جاء الأبناء باكين ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة، أخبروه بأنهم ذهبوا يستبقون، فجاء ذئب على غفلة، وأكل يوسف، و جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ونسوا أن يمزقوا قميص يوسف، فجاءوا بالقميص كما هو سليما، ولكن ملطخا بالدم، وانتهى كلامهم بدليل قوي على كذبهم حين قالوا: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) أي وما أنت بمطمئن لما نقوله، ولو كان هو الصدق، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله، أدرك يعقوب من دلائل الحال ومن نداء قلبه يوسف لم يأكله الذئب، وأنهم دبروا له مكيدة ما، فواجههم بأن نفوسهم قد

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

حسنت لهم أمرا منكرا وذللته ويسرت لهم ارتكابه، وأنه سيصبر متحملا متجملا لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو، مستعينا بالله على ما يلفقونه من حيل وأكاذيب.

أثناء وجود يوسف بالبئر، مرت عليه قافلة في طريقها إلى مصر توقفوا للتزود بالماء، وأرسلوا أحدهم للبئر فأدلى الدلو فيه، تعلق يوسف به و ظن من دلاه أنه امتلأ بالماء فسحبه ففرح بما رأى، رأى غلاما متعلقا بالدلو، فسرى على يوسف حكم الأشياء المفقودة التي يلتقطها أحد، يصير عبدا لمن التقطه، وعزموا على التخلص منه لدى وصولهم إلى مصر.. ولم يكد يصلوا إلى مصر حتى باعه في سوق الرقيق بثمن زهيد.

و هنا تبدأ المحنة الثانية في حياة يوسف عليه السلام و هي محنة الاسترقاق، لقد انطبقت جدران العبودية على يوسف، صار عبدا يباع في الأسواق، اشتراه رجل من مصر، صار مملوكا لهذا الرجل، غير أن ما نتصور نحن أنه مأساة ومحنة وفتنة، كان هو أول سلم يصعده يوسف في طريقه إلى مجده، وها هو ذا يلقي محبته على صاحبه الذي اشتراه إذ يقول لزوجته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا، وليس هذا السيد رجلا هين الشأن، إنما هو رجل مهم، رجل من الطبقة الحاكمة في مصر سماه القرآن العزيز، وأدرك سيده أن الله قد أكرمه بإرسال يوسف إليه.. اكتشف فيه الشهامة و الكرامة، وجعله سيده مسئولا عن بيته وأكرمه وعامله كابنه.

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

هنا تبدأ المحنة الثالثة، و هي أشد و أعمق من المحنة الأولى، حيث طلبت امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها منه أن يضاجعها، و دعته برفق و لين أن يواقعها، و توسلت إليه بكل وسيلة، و أغلقت الأبواب و قالت هيت لك لن تفر مني، ومزقت أقنعة الحياء وصرحت بحبها وطالبته بنفسه.

يقف هذا النبي الكريم في وجه سيدته قائلا: أعيذ نفسي بالله أن أفعل هذا مع زوجة من أكرمني بأن نجاني من الجب وجعل في هذه الدار مثواي الطيب الآمن، ولا يفلح الظالمون الذين يتجاوزون حدود الله، في تلك اللحظة يوسف عليه السلام آثر الانصراف متجها إلى الباب حتى لا يتطور الأمر أكثر، لكن امرأة العزيز لحقت به لتمسكه، تدفعها الشهوة لذلك. فأمسكت قميصه من الخلف، فتمزق في يدها. وهنا تقطع المفاجأة، فتح الباب زوجها العزيز، وهنا ترتبك امرأة العزيز ، فتقول متهمة الفتى: قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. و بينت امرأة العزيز أن أفضل عقاب له هو السجن، بعد هذا الاتهام الباطل جهر يوسف بالحقيقة ليدافع عن نفسه: قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي، برئ الله يوسف بوجود شاهد، أمر هذا الشاهد بالنظر للقميص، فإن كان ممزقا من الأمام فذلك من أثر مدافعتها له وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

كاذب، وإن كان قميصه ممزقا من الخلف فهو إذن من أثر تملصه منها وتعقبها هي له حتى الباب، فهي كاذبة وهو صادق.

فتأكد الزوج من خيانة زوجته عندما رأى قميص يوسف ممزق من الخلف، لكن الدم لم يثر في عروقه ولم يصرخ ولم يغضب، وصرح بأن كيد النساء عموم عظيم، بعدها التفت الزوج إلى يوسف قائلا له: يوسف أهمل هذا الموضوع ولا تعره اهتماما ولا تتحدث به ثم يوجه عظة مختصرة لزوجته بأن تستغفر.

لكن الفتنة لم تنته، بدأ الموضوع ينتشر، خرج من القصر إلى قصور الطبقة الراقية يومها، ووجدت فيه نساء هذه الطبقة مادة شهية للحديث، عندما سمعت امرأة العزيز بما تتناقله نساء الطبقة العليا عنها، قررت أن تعد مأدبة كبيرة في القصر، وأعدت الوسائد حتى يتكئ عليها المدعوات، واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين الحادة إلى جوار الطعام المقدم، ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها، وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم و تقشير الفاكهة، فاجأتهن بيوسف ثم بهتن لطلعته و دهشن، وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة، ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، فقالت قولة المرأة المنتصرة " انظرن ماذا لقيتن منه من البهر والدهش والإعجاب! لقد بهرني مثلكن فراودته عن نفسه لكنه استعصم، وإن لم يطعني سآمر بسجنه لأذلّه "، واندفع النسوة كلهم

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

إليه يراودنه عن نفسه، كل منهن أرادته لنفسها، فاستنجد يوسف بربه ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن، خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم، فيقع فيما يخشاه على نفسه، دعى يوسف الله يريد مزيدا من عناية الله وحياطته، ويعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء، واستجاب له الله وصرف عنه كيد النسوة[11].

هنا تبدأ المحنة الرابعة و الأخيرة و هي محنة السجن و ما بعدها رخاء، كان دخوله للسجن بسبب انتشار قصته مع امرأة العزيز ونساء طبقتها، فلم يجد أصحاب هذه البيوت طريقة لإسكات هذه الألسنة سوى سجن يوسف، دخل يوسف السجن ثابت القلب هادئ الأعصاب أقرب إلى الفرح لأنه نجا من إلحاح زوجة العزيز ورفيقاتها، كان السجن بالنسبة إليه مكانا هادئا يخلو فيه ويفكر في ربه، انتهز يوسف عليه السلام هذه الفرصة ليحدث الناس عن رحمة الخالق وعظمته وحبه لمخلوقاته، كان يسأل الناس: أيهما أفضل.. أن ينهزم العقل ويعبد أربابا متفرقين، أم ينتصر العقل ويعبد رب الكون العظيم؟ وكان يقيم عليهم الحجة بتساؤلاته الهادئة وحواره الذكي وصفاء ذهنه، ونقاء دعوته، وفي أحد الأيام، قَدِمَ له سجينان يسألانه تفسير أحلامهما، بعد أن توسما في وجهه الخير، إن أول ما قام به

---

[11] أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن***، دار الكتب العلمية _ بيروت، المجلد السابع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٢١٥

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

يوسف عليه السلام هو طمأنتهما أنه سيؤول لهم الرؤى، لأن ربه علمه علما خاصا، وبذلك يكسب ثقتهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما، كما يكسب ثقتهما كذلك لدينه، ثم بدأ بدعوتهما إلى التوحيد، بعد ذلك فسر لهما الرؤى، بيّن لهما أن أحدهما سيصلب، والآخر سينجو، وسيعمل في قصر الملك، أوصى يوسف من سينجو منهما أن يذكر حاله عن الملك، لكن الرجل لم ينفذ الوصية، فربما ألهته حياة القصر المزدحمة يوسف وأمره. فلبث في السجن بضع سنين.

و بعد هذا تبدأ نقطة التحول، التحول من محن الشدة إلى محن الرخاء، يحكي الملك لحاشيته رؤياه طالبا منهم تفسيرا لها، لكن المستشارين والكهنةلم يقوموا بالتفسير، وصل الخبر إلى الساقي، الذي نجا من السجن و ذكره حلم الملك بحلمه الذي رآه في السجن، وذكره السجن بتأويل يوسف لحلمه، وأسرع إلى الملك وحدثه عن يوسف، قال له: إن يوسف هو الوحيد الذي يستطيع تفسير رؤياك، وأرسل الملك ساقيه إلى السجن ليسأل يوسف، سُئِلَ يوسف عن تفسير حلم الملك، فلم يشترط خروجه من السجن مقابل تفسيره. لم يساوم ولم يتردد ولم يقل شيئا غير تفسير الرؤيا، لم يقم يوسف عليه السلام بالتفسير المباشر المجرد للرؤيا، وإنما قدم مع التفسير النصح وطريقة مواجهة المصاعب التي ستمر بها مصر، أفهم يوسف رسول الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنوات مخصبة تجود

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

فيها الأرض بالغلات، وعلى المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع، لأن وراءها سبع سنوات مجدبة ستأكل ما يخزنه المصريون، وأفضل خزن للغلال أن تترك في سنابلها كي لا تفسد أو يصيبها السوس أو يؤثر عليها الجو. عاد الساقي إلى الملك. أخبره بما قال يوسف، دهش الملك دهشة شديدة لأنه تنبأ لهم بما سيقع، ويوجههم لعلاجه، فأصدر الملك أمره بإخراج يوسف من السجن وإحضاره فورا إليه، ذهب رسول الملك إلى السجن، رفض يوسف أن يخرج من السجن إلا إذا ثبتت براءته، فبدأ الملك بالسؤال لنساء الطبقة العليا عما فعلنه مع يوسف. يبدوا أن الملك سأل عن القصة ليكون على بينة من الظروف قبل أن يبدأ التحقيق، لذلك جاء سؤاله دقيقا للنساء. فاعترف النساء بالحقيقة التي يصعب إنكارها كما اعترفت معهم امرأة العزيز.

و بعد هذا يبدأ حياة الرخاء و لقاؤه مجددا مع أبيه و إخوته، بعد ما رأى الملك من أمر يوسف براءته وعلمه، طلبه ليكون مستشاره، وعندما جلس معه وكلمه، تحقق له صدق ما توسمه فيه، وهكذا مكن الله ليوسف في الأرض بعد أن طلب منه الملك تولي أمر خزائن مصر واقتصادها ثم صار كبيرا للوزراء.

و مرت الأيام مرورا سريعا على سنوات الرخاء، وجاءت سنوات المجاعة، لقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها، فاتجه إخوة يوسف إلى مصر، وقد تسامع الناس بما

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

فيها من فائض الغلة منذ السنوات السمان، فدخلوا على عزيز مصر، وهم لا يعلمون أن أخاهم هو العزيز، ولم يكشف لهم يوسف عن نفسه، فتركهم يأنسون إليه, واستدرجهم حتى ذكروا له من هم على وجه التفصيل و أن لهم أخا صغيرا من أبيهم لم يحضر معهم لأن أباه يحبه ولا يطيق فراقه، فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا، فسيوفيهم نصيبهم حين يجيء معهم، ولما كانوا يعلمون كيف يضمن أبوهم بأخيهم الأصغر وبخاصة بعد ذهاب يوسف فقد أظهروا أن الأمر ليس ميسورا، وإنما في طريقه عقبات من ممانعة أبيهم، وأنهم سيحاولون إقناعه، مع توكيد عزمهم على الرغم من هذه العقبات على إحضاره معهم حين يعودون، أما يوسف فقد أمر غلمانه أن يدسوا البضاعة التي حضر بها إخوته ليستبدلوا بها القمح والعلف، لعلهم يعرفون حين يرجعون أنها بضاعتهم التي جاءوا بها.

و عندما رجع الأخوة إلى أبيهم، دخلوا على أبيه، قائلين له: إن لم ترسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام، وختموا كلامهم بوعد جديد ليعقوب عليه السلام بحفظ بنيامين معهم، ثم وجدوا بضاعتهم التي ذهبوا يشترون بها مردودة إليهم مع الغلال والطعام، وأسرع الأبناء إلى أبيهم قائلين: لم نكذب عليك لقد رد إلينا الثمن الذي ذهبنا نشتري به، واستمر حوارهم مع الأب أفهموه أن حبه لابنه والتصاقه به

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

يفسدان مصالحهم، وهم يريدون أن يتزودوا أكثر، وسوف يحفظون أخاهم أشد الحفظ و انتهى الحوار باستسلام الأب لهم بشرط أن يعاهدوه على العودة بابنه.[12]

عاد إخوة يوسف الأحد عشر هذه المرة إليه، و لما دخلوا على يوسف، حضن أخاه و يكشف له وحده سر قرابته، و بدأ يوسف يدبر شيئا لإخوته، أمر يوسف عليه السلام رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في متاع أخيه الصغير خلسة، وتهيأ إخوة يوسف للرحيل، ومعهم أخوهم ثم أغلقت أبواب المدينة و أمرهم الجند بالوقوف، فتسائل إخوة يوسف و قال الجنود ضاعت كأس الملك الذهبية، فقال إخوة يوسف ببراءة: لم نأت لنفسد في الأرض ونسرق! وبدأ التفتيش، كان هذا الحوار على منظر ومسمع من يوسف، فأمر جنوده بالبدء بتفتيش رحال إخوته أولا قبل تفتيش رحل أخيه الصغير، فبدأوا بالتفتيش حتى وجدوا الكأس في رحل أخيهم الصغير، و كان القانون في ذلك الزمان بامتلاك صاحب الملك للسارق، وتذكروا أباهم يعقوب لقد أخذ عليهم عهدا غليظا، ألا يفرطوا في ابنه، وبدءوا استرحام يوسف بأَنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ

[12] قصة يوسف عليه السلام كاملة والعبرة منه، http://www.kuwaityiat.com/sitemap/t-28227.html ٢٠١٢/٠٣/١٥

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

الْمُحْسِنِينَ، قال يوسف: كيف تريدون أن نترك من وجدنا كأس الملك عنده، ونأخذ بدلا منه إنسانا آخر؟ هذا ظلم، ونحن لا نظلم، وعرفوا أن لا جدوى بعدها من الرجاء فرجعوا.

وطلب منهم أخيهم الكبير أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه صراحة بأن ابنه سرق، فعل الأبناء ما أمرهم به أخوهم الكبير، وحكوا ليعقوب عليه السلام ما حدث، استمع يعقوب إليهم و واجههم بالحزن و الصبر، و سبب البكاء الطويل ليعقوب عليه السلام إلى فقدان بصره، لاحظ أبناؤه أنه لم يعد يبصر و حذروه بأنه سيهلك نفسه، فردهم يعقوب بأن يتركوه في بكائه وليصرفوا همهم لشيء أجدى عليهم و هو البحث عن يوسف عليه السلام، لأنه أحس في نفسه بأن يوسف لم يمت، فتوجه إخوة يوسف في طريقهم إلى العزيز بعد تدهور حالهم الاقتصادي وحالهم النفسي، وعندما دخلوا على يوسف عليه السلام رجوه أن يتصدق عليهم، ثم فاجأهم عزيز مصر بسؤالهم عما فعلوه بيوسف، كان يتحدث بلغتهم فأدركوا أنه يوسف، وراح الحوار يمضي فيكشف لهم خطيئتهم معه فاعترفوا بذنبهم و أحسوا بالخوف لما سيفعل يوسف بهم، فأحس يوسف بذلك فطمأنهم و دعا الله بأن يغفر لهم.

ثم خلع يوسف قميصه و أعطاه لهم ليلقوه على وجه أبيهم فيشفى، و ما أن خرجت القافلة، حتى قال يعقوب عليه السلام: إني أشم رائحة يوسف، و عندما وصلت القافلة،

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

وألقى أولاده قميص يوسف على وجه يعقوب عليه السلام فارتدّ بصره، و اعترف الأخوة بخطئهم، وطلبوا من أباهم الاستغفار لهم، و كما بدأت قصة يوسف بإخبار رؤياه لأبيه، تنتهي هذه القصة بتحقيق رؤياه عندما رأى والديه و إخوته الإحدى عشر ساجدين له.[13]

2. دروس تربوية من قصة يوسف

استنتجت الباحث من خلال بحثها في الفقرة السابقة الدروس التربوية من قصة يوسف عليه السلام : أن الشخص إذا رأى في منامه ما يحب أن يحدث ، و إذا رأى ما يكره فلا يتحدث به ، و ليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها و ليتفل ثلاثا ، و ليتحول عن جنبه الآخر فإنها لا تضره .

ومن الأدب مع الوالدين بعدم مناداتهما بأسمائهما ، و مناداة الوالدين للأولاد بأحسن الأسماء ، و أهمية تنمية العلاقة الوثيقة بين الوالدين و أبنائهم في نفوس الأطفال ، والحرص على عدم حدوث أي أمر يؤثر على السكينة و الطمأنينة بين الأولاد بمعاملة الوالدين بالعدل والمساواة بين الأبناء .

[13] أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المرجع السابق، ص ٢٢٣

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

ينبغي البعد عن أسباب الشر و كتمان ما تخشى مضرته ، فيجوز أن يحذر المسلم غيره من أشخاص على نية النصيحة حين يعتقد فيه إرادة الشر و إيقاعه ، و ذلك لا على وجه الغيبة و النميمة ، وعند نصيحة الأبناء يفضل الجمع بين النهي و التعليل و التوجيه ، و بيان أن بعض الألعاب حلال كالسباق و الرماية .

تبييت التوبة قبل الذنب توبة فاسدة ، و أنّ الحزن على مفارقة الأحباب أو غير ذلك من فوات أي أمر محبوب لا يعتبر إثما ، وجواز اتخاذ الحيلة المباحة للتوصل للمقصود المباح ، كما يجب على وزير التموين أو الشخص المكلف بتوزيع الحصص العدل في توزيع الحصص.

من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز و فتنة النساء يبين مدى خطورة فتنة النساء و عظم كيدهن ، و خطورة الخلوة بالمرأة في البيت، و أنّ غياب الغيرة في قلب الرجل على امرأته يؤدي إلى فساد المجتمع .

الدعوة واجبة في كل الأحوال و لو كان في السجن ، ويجب التنوع في أساليب الدعوة و اختيار المناسب لكل حال ، كما أن تفسير الرؤيا بمثابة فتوى فلا يجوز لمن لا علم له أن يفتي فيها ، و أن الشخص اذا أحس بالقدرة و الكفاءة لتولي منصب أو مهمة ما يجوز أن يقدم نفسه لتلك المنصب بدلا أن يأخذها شخص غير مستحق له .

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

المراجع

محمد رشيد رضا، ***تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار***، دار الكتب العلمية _ بيروت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، المجلد الثاني عشر، ص ٢١٣

عبد الله هاشم ابراهيم نايل، ***القول الحقيق في تفسير سورة يوسف النبي الصديق عليه السلام***، مطبعة حسين الاسلامية – القاهرة، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، ص ٩

يترجم من
Quraish Shihab, ***Tafsir Al Mishbah : Pesan, Kesan dan Keserasian Al-Qur'an,*** Lentera Hati, Jakarta, 2007, Cet. Ke-8, h 391

ابن منده ، محمد بن اسحاق بن يحي ، ***الإيمان***، مؤسسة الرسالة _ بيروت، ١٤٠٦ هـ

ابن القيم الجوزي ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، ***الجواب الكافي لمن سأل الدواء الشافي***، دار الكتب العلمية _ بيروت

ISSN: 1907-9907 (print)
E-ISSN: 2656-4688 (electronic)

العامري ، الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن حبيب ، ***أحكام النظر إلى المحرمات و ما فيه من الخطر و الآفات و الرد على من استباح حله و ادعى العصمة فيه من الفتنة،*** دار ابن حزم ــ بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ابن جرير الطبري ، أبي جعفر محمد ، ***تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن،*** دار الكتب العلمية ــ بيروت، المجلد السابع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المرجع السابق، ص ٢٦٠٣

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ***تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن،*** دار الكتب العلمية ــ بيروت، المجلد السابع، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ص ٢١٥

قصة يوسف عليه السلام كاملة والعبرة منه، http://www.kuwaityiat.com/sitemap/t-28227.html ٢٠١٢/٠٣/١٥